في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوه الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين
وقد جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد ألم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم
ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية
وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب والرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم
وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت
اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته
عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلام ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله
الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل
في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: لاصبحن العاص وابن العاصي * سبعين الفا عاقدي النواصي
فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب كلام العرب وتمثيلاته والذي يفهم
من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال
قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث
اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض
المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم
كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم
ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا
ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض
بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على
الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان ودواعي الايقان
قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد
كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم:

مسرة احقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة احقاب

معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره
يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة منهم لان منهم
من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة
المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم

من ديوان

من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد
مر تفسيره وقراءة مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان
قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة واخر مرة وقد ذكرنا انهم كانوا اثني عشر رجلا نزل فيهم
ما قيل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه
ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه
في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعا ابنه حبابا الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب
اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف
جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له
المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله
له ذلك واجابته له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام
واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء
وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه
قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام
كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الاسلام وباطنه على خلاف
ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت لم تقدم نهي عن الصلوة
عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان
رسول الله لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه
كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له
وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية
به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد
هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة
كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة
اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون
ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو
من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك
الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة
وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد
في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط

Copyright King Saud University